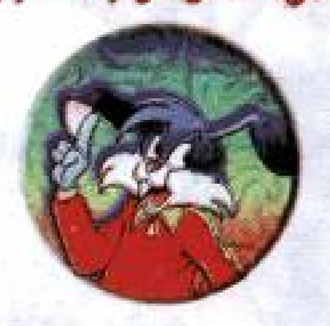
مغامرات أرنوب العجيب





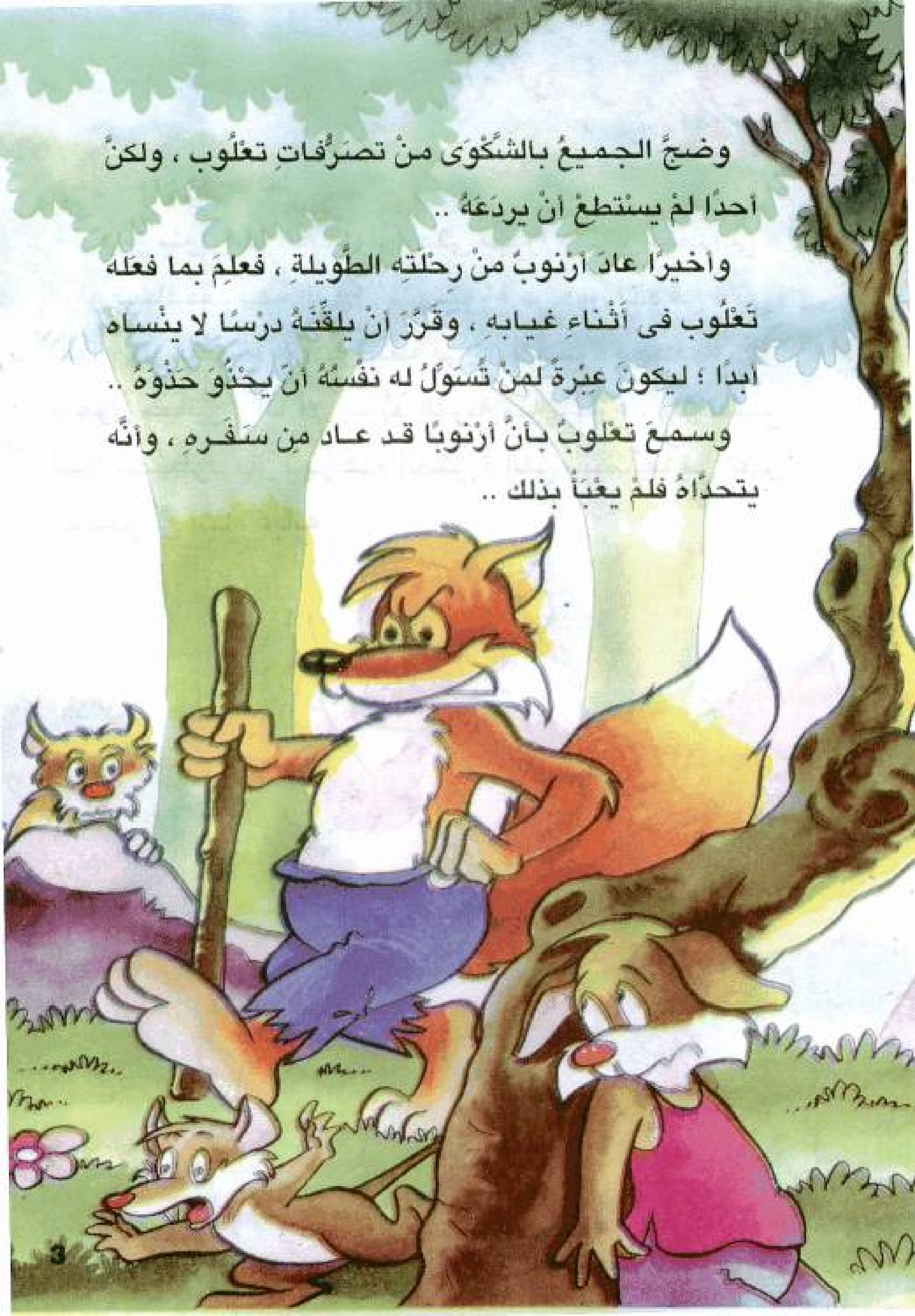
الدرس الرهيب

بقلم : عبد الحميد عبد المقصود
بريشة : عبد الشافى سيد

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

رحلَ أرْنوبُ العَجيبُ لفَتْرةٍ في سَفرٍ طويلٍ ، طافَ خلالَهُ القُرَى ، والبُلْدانَ البَعيدةَ ..

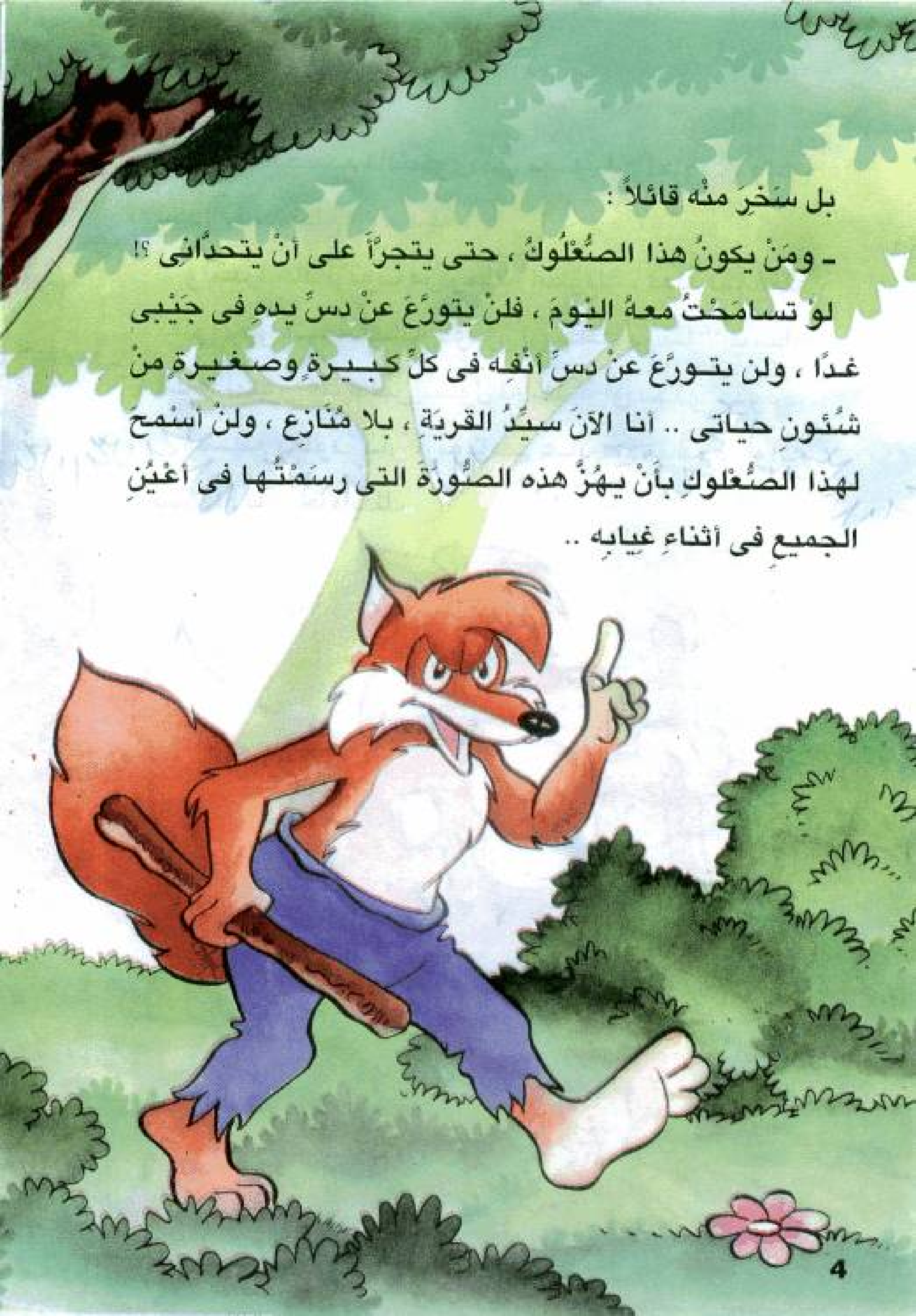
وعَلِمَ تغلُوبُ بذلكَ ، فعرفَ أَنَّ الْجَوَّ قدْ خَلاَ لَهُ ، فاخذَ يَصُولُ ويجُولُ على هَوَاهُ ، طَالَمَا أنَّه لا يوجَدُ مَنْ يتصدَّى لهُ ويُوقِفُهُ عندَ حدِّهِ ، حتى تحوَّلَ فجْأةً إلى طاغيَةٍ جبَّارٍ ، فرضَ الرُّعْبَ علَى أهْلِ قرْيَتِهِ والقُرى المجَاورَةِ .. فلمْ يَدعْ شخْصًا إلاَّ ضربهُ أوْ أهَانَهُ وكأنَّهُ وحشٌ كاسرٌ ..



وضجَّ الجميعُ بالشكْوَى منْ تصرُّفاتِ تعْلُوب ، ولكنَّ أحدًا لمْ يستطعْ أنْ يردَعَهُ ..

وأخيرًا عادَ أرْنوبٌ منْ رحلتِه الطَّويلةِ ، فعلِمَ بما فعَله تَعْلُوب فى أثْناءِ غيابهِ ، وقرَّرَ أنْ يلقِّنَهُ درْسًا لا ينْساه أبدًا ؛ ليكونَ عِبْرةً لمنْ تُسوِّلُ له نفْسُهُ أنْ يحْذُوَ حذْوَهُ ..

وسمعَ تعْلوبُ بأنَّ أرْنوبًا قد عادَ منْ سفَرِهِ ، وأنَّه يتحدَّاهُ فلمْ يعْبَأْ بذلك ..



بل سَخرَ منْه قائلاً :

- ومَنْ يكونُ هذا الصُعْلُوكُ ، حتى يتجرأَ على أنْ يتحدَّانى ؟!

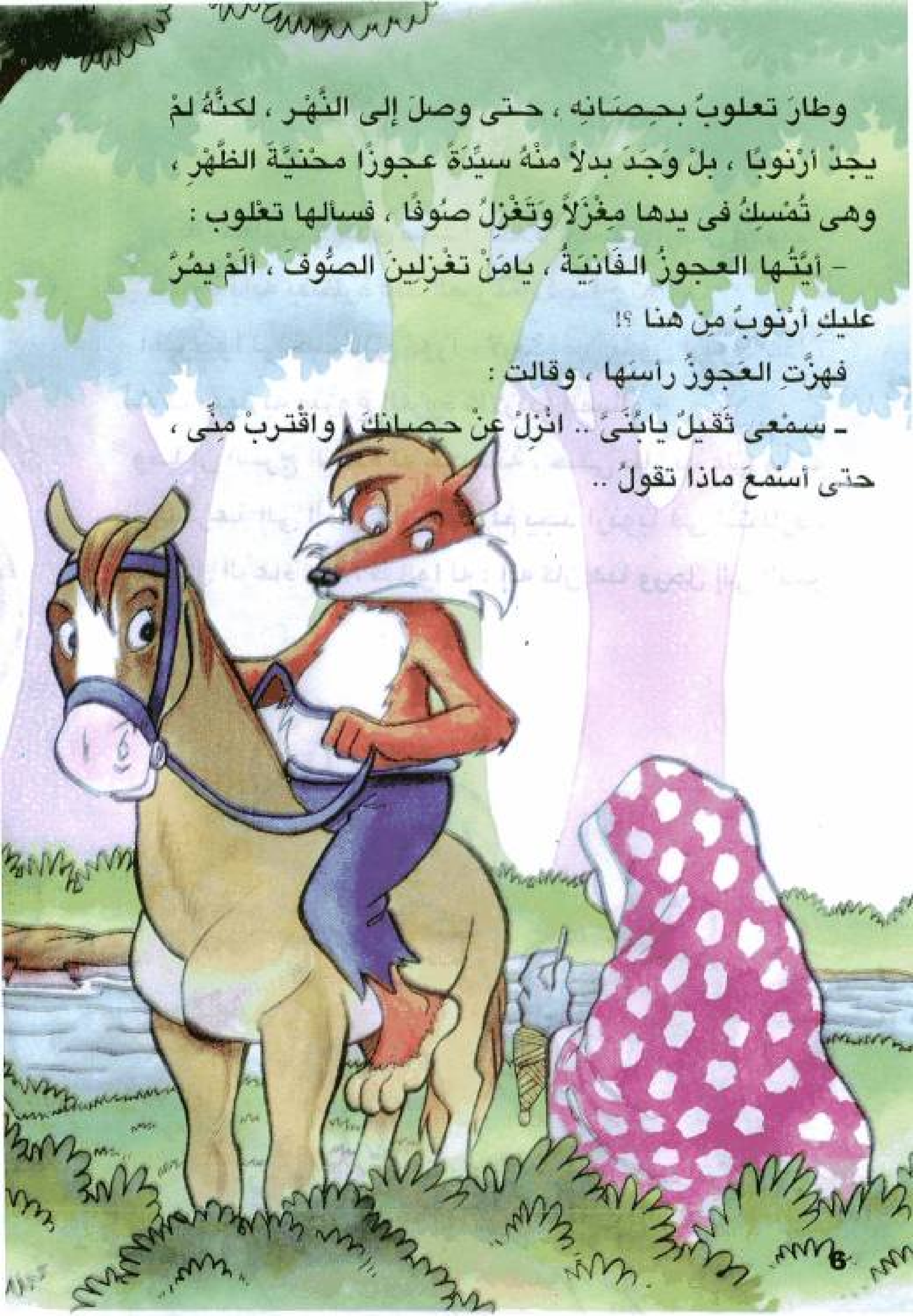
لوْ تسامَحْتُ معهُ اليَومَ ، فلنْ يتورَعَ عنْ دسِّ يدهِ فى جَيْبى غدًا ، ولن يتـورَّعَ عنْ دسِّ أنْفِه فى كلِّ كبـيرةٍ وصغيرةٍ منْ شئُونِ حياتى .. أنا الآنَ سيِّدُ القريَةِ ، بلا مُنَازِعٍ ، ولنْ أسْمحَ لهذا الصُعْلوكِ بأنْ يهُزَّ هذه الصُّورَةَ التى رسَمْتُها فى أعْيُنِ الجميعِ فى أثناءِ غيابِه ..

وظلَّ تعْلوبُ يهْذِى بهذَا الكَلامِ ، حتَّى أرسَلَ أرْنوبُ مَنْ يُخبِرهُ بأنَّهُ ينتظِرُهُ عندَ المزْرعةِ ، فصاح تعْلوبُ

- أسْرِجُوا لى حِصانى فوْرًا ، لأرِيَكُمْ مَنْ يكونُ أرْنوبُ هذا ، سوْف أعودُ به مَنْزُوعَ الفرْوةِ كالأرْنب المَسلوخ ..

وما أن أسرجَ الخدَمُ له حِصانَهُ ، حتى طارَ به على وَجْهِ السُّرْعةِ إلَى الْمَزْرَعَةِ ، لكنه لمْ يجدْ أرْنوبًا فى انْتظارِهِ ، فسأل الرُّعَاةَ عنْهُ ، فقالوا له : إنه كانَ هنا ورحلَ إلى النَّهْرِ



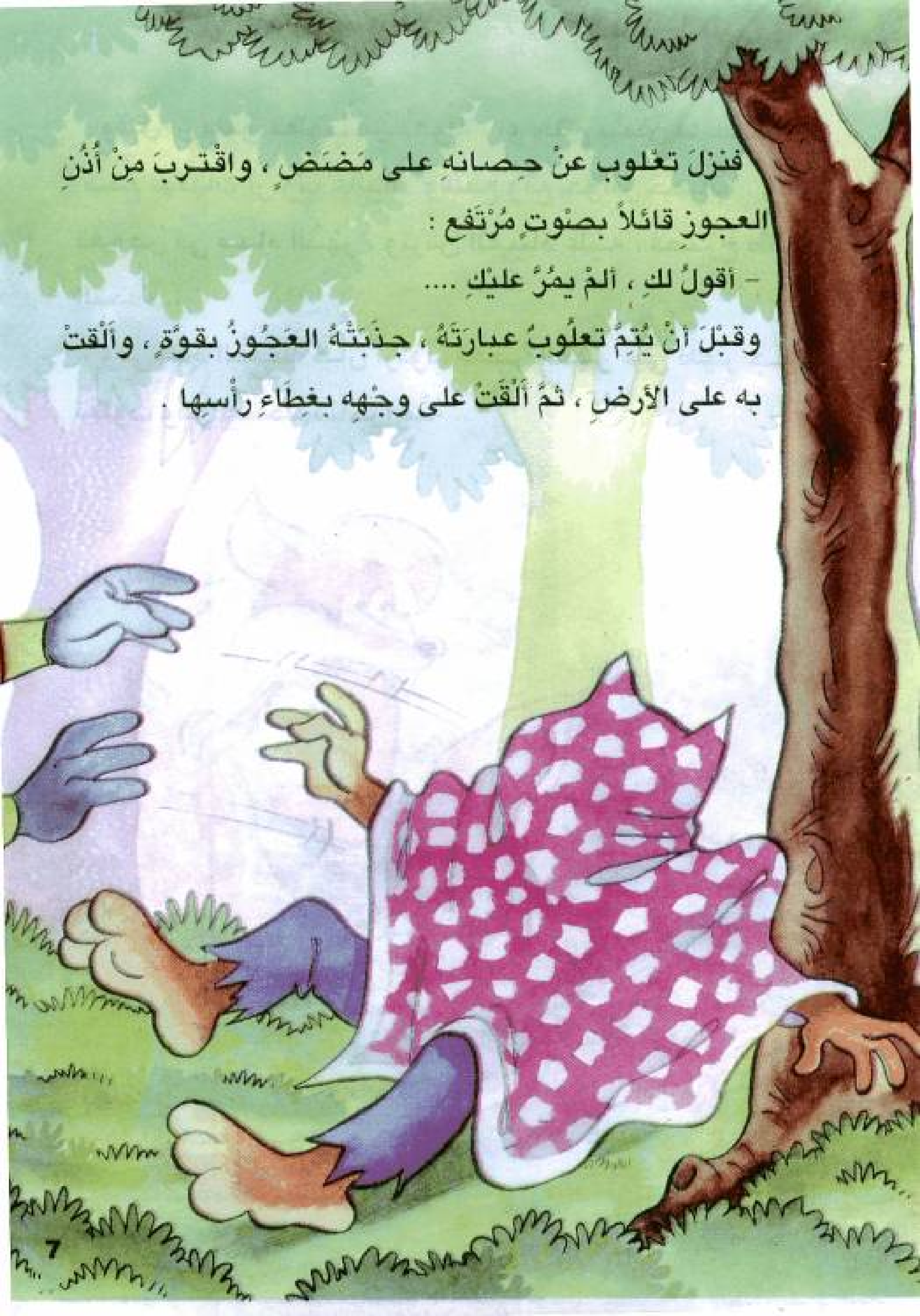


وطارَ تعلوبُ بحِصَانِه ، حتى وصلَ إلى النَّهْر ، لكنَّهُ لمْ يجدْ أرْنوبًا ، بلْ وَجَدَ بدلاً منْهُ سيِّدَةً عجوزًا محْنيَّةَ الظَّهْرِ ، وهى تُمْسِكُ فى يدها مِغْزَلاً وتَغْزِلُ صُوفًا ، فسألها تعْلوب :

- أيَّتُها العجوزُ الفَانِيَةُ ، يامَنْ تغْزِلينَ الصُّوفَ ، ألَمْ يمُرّ عليكِ أرْنوبٌ مِنْ هنا ؟!

فهزَّتِ العَجوزُ رأسَها ، وقالت :

- سمْعى ثَقيلٌ يابُنَىَّ .. انْزِلْ عنْ حصانِكَ ، واقْتربْ منِّى ، حتى أسْمعَ ماذا تقولُ ..



فنزلَ تعْلوبُ عنْ حِصانهِ على مَضَضٍ ، واقْتـربَ مِنْ أُذُنِ العجوزِ قائلاً بصَوْتٍ مُرْتَفع :

- أقولُ لكِ ، ألمْ يمُرُّ عليْكِ ....

وقبْلَ أنْ يُتِمَّ تعلُوبُ عبارَتَهُ ، جذَبَتْهُ العَجُوزُ بقوَّةٍ ، وألْقتْ به على الأرضِ ، ثمَّ ألْقتْ على وجْهِه بغِطَاءِ رأْسِها .

وقَبْلَ أَنْ يفيقَ تعْلوبٌ منْ ذُهُولِهِ ، أو حتى يتَبيَّنَ ما حَدث لهُ ، سمعَ قَهقَهاتِ أَرْنوبٍ عاليةً ، وسمعَ وقْعَ حوَافِرِ حِصانِه ، وهى تَغُوصُ فى مياهِ النَّهْرِ ، وترُشُّ المِيَاهَ علَيْه ، فصرَخَ طالبًا النَّجْدَةَ ..

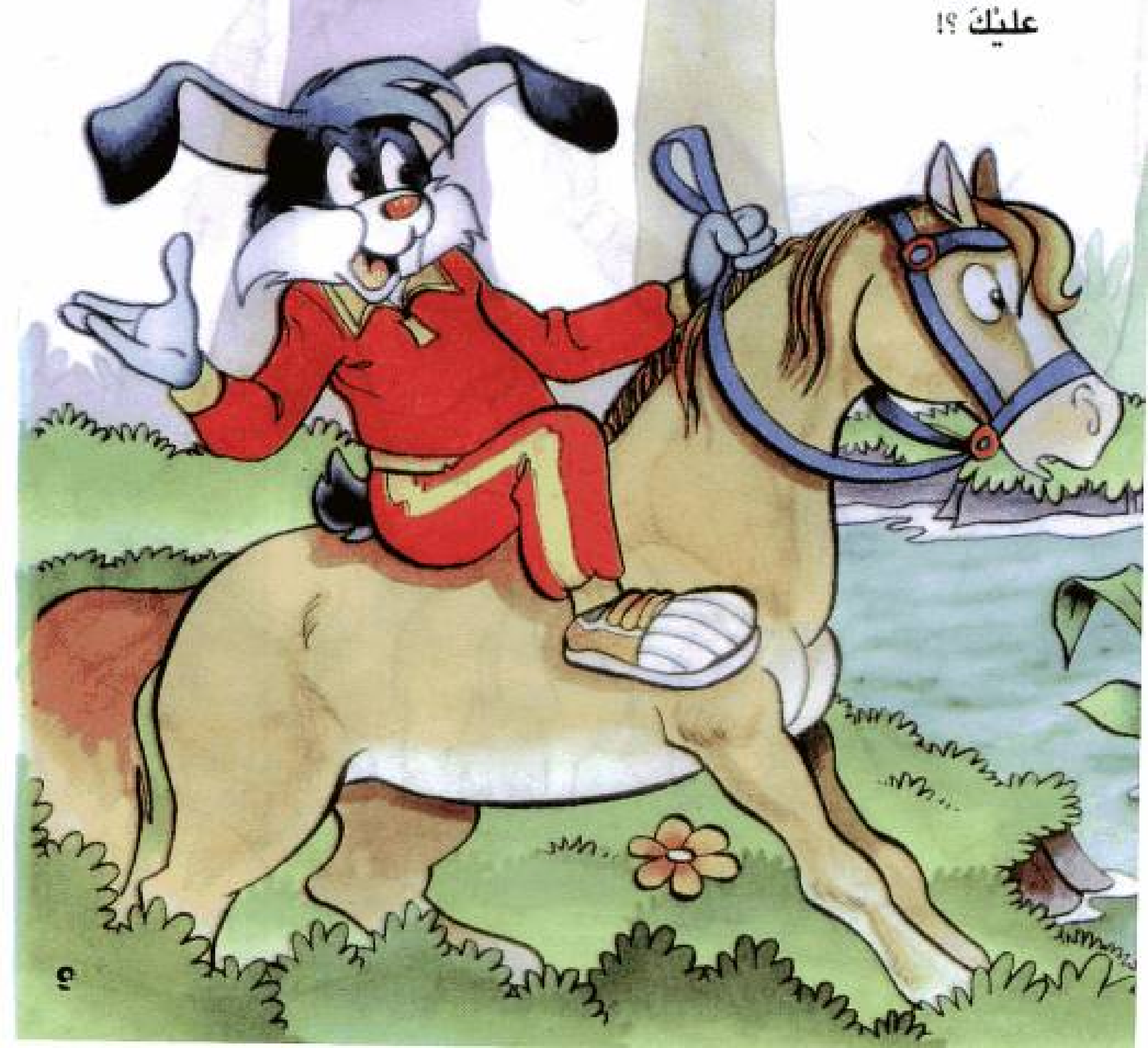
وفى هذه اللَّحْظة كان أرْنوبٌ يَعْبرُ النَّهْرَ على ظَهْرِ جَوادِ تعْلوبٍ وهوَ يضْحكُ سَاخِرًا مِنْهُ ..



وما إنْ رفعَ تعْلوبُ الغِطاءَ عنْ وجْههِ ؛ ليتبيَّنَ حقيقةَ ما حدثَ ، حتَّى رأى أرْنوبًا يقِفُ على الضِفَّةِ الأُخْرى منَ النَّهْرِ ، مُمْتَطِيًا ظهْرَ حِصانهِ ، فأدْرك تعْلوبُ أنَّ أرنُوبًا قدْ خدعَهُ واحتالَ عليْه ، وأنَّ هذهِ العجُوزَ الَّتى سألها كانتْ هى نَفْسُها أرْنوبًا ..

وقال أرْنوبُ وهوَ مُستمِرٌّ فى الضَّحِكِ :

- هَأنَذَا قد هزَمْتُكَ أيُّها البطلُ الْمَغرورُ ، فهلْ تُقِرُّ بِانْتِصارِى عليْكَ ؟!





نكَسَ تعلوبُ رأسَه فى خَجَلٍ ، شاعرًا بالهَزيمةِ ، وقال :

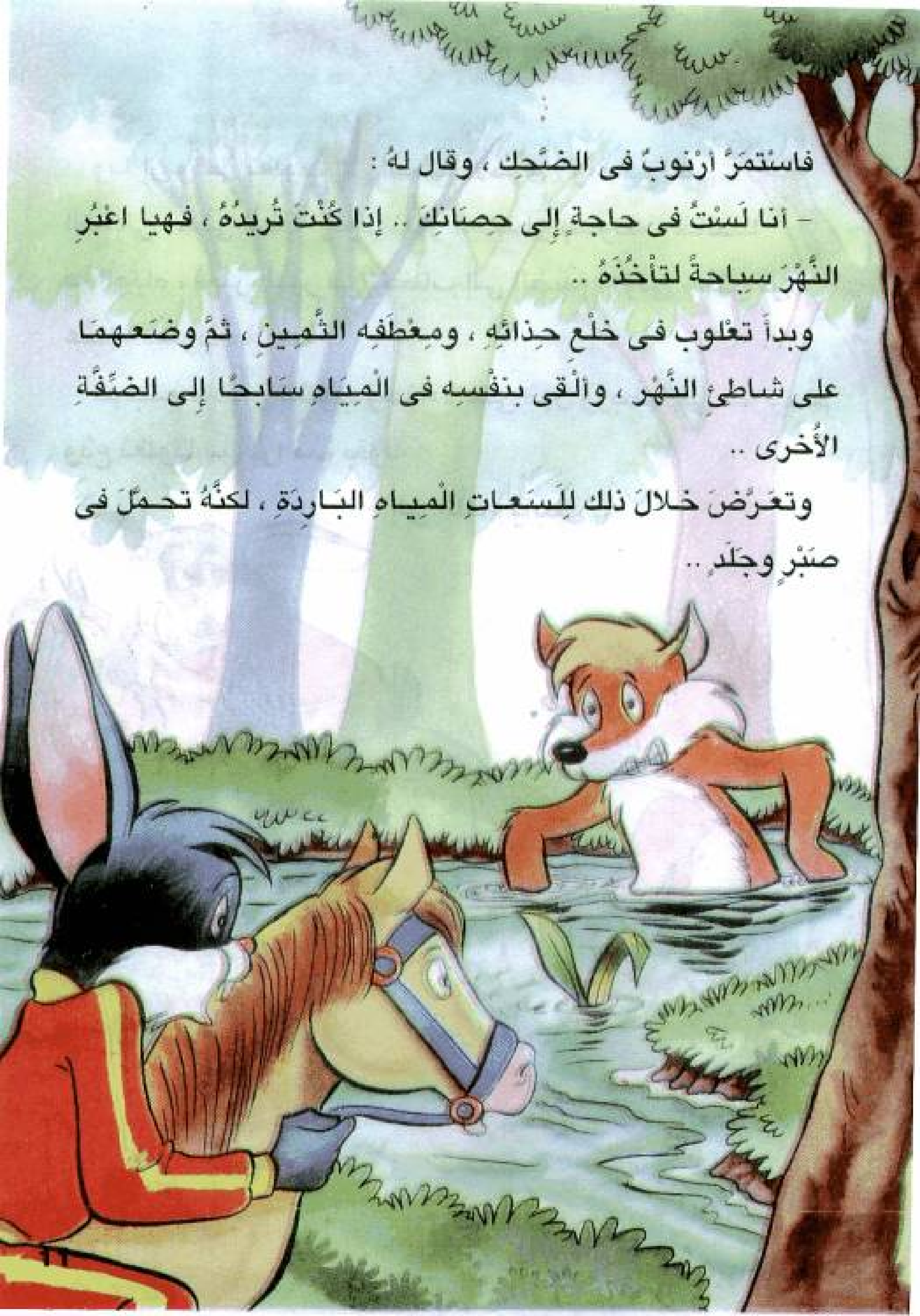
– نعَمْ .. فَلْتُعِدْ إلىَّ حِصانى ..

فقال أرنوب :

ـ لَنْ أعيدَ إليك حِصانَكَ ، قبلَ أنْ تكُفَّ عنْ ظُلْمِكَ وطُغْيانِكَ ، وتكُفَّ عنْ إرْهابِ الجميعِ ، وإذْلالِهِمْ ..

فقال تعْلوب :

ـ لقدْ كفَفْتُ عَنْ ذلك كُلِّهِ مُنْذُ الآنَ ..

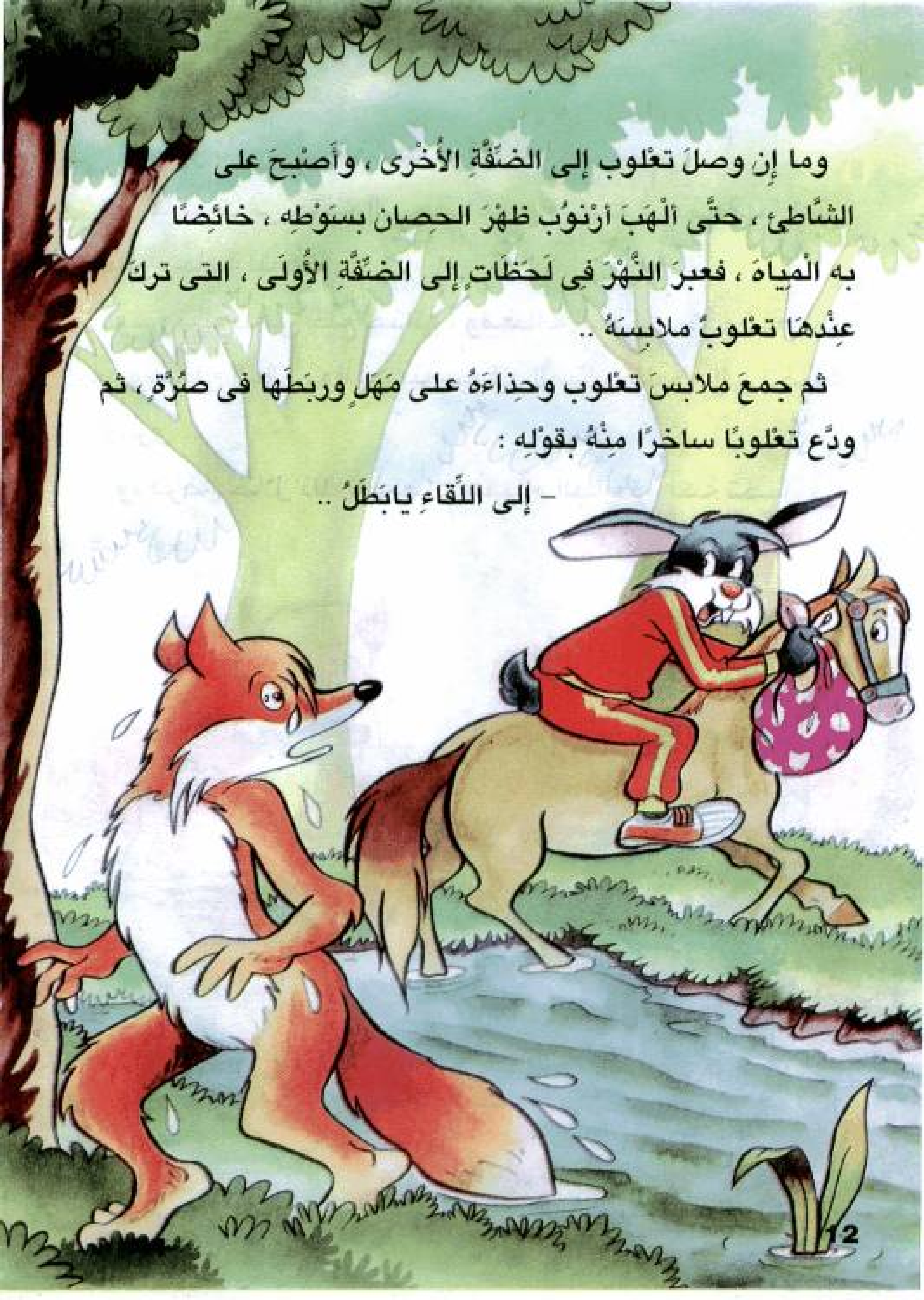


فاستمرَّ أرْنوبُ فى الضَّحك ، وقال لهُ :

- أنا لَسْتُ فى حاجةٍ إلى حصَانِكَ .. إذا كُنْتَ تُريدُهُ ، فهيا اعْبُرِ النَّهْرَ سباحةً لتأخُذَهُ ..

وبدأَ تعْلوب فى خلْعِ حذائِه ، ومِعْطَفِه الثَّمينِ ، ثمَّ وضعهما على شاطئِ النَّهر ، وألْقى بنفْسِه فى المياهِ سابحًا إلى الضَّفَّةِ الأُخرى ..

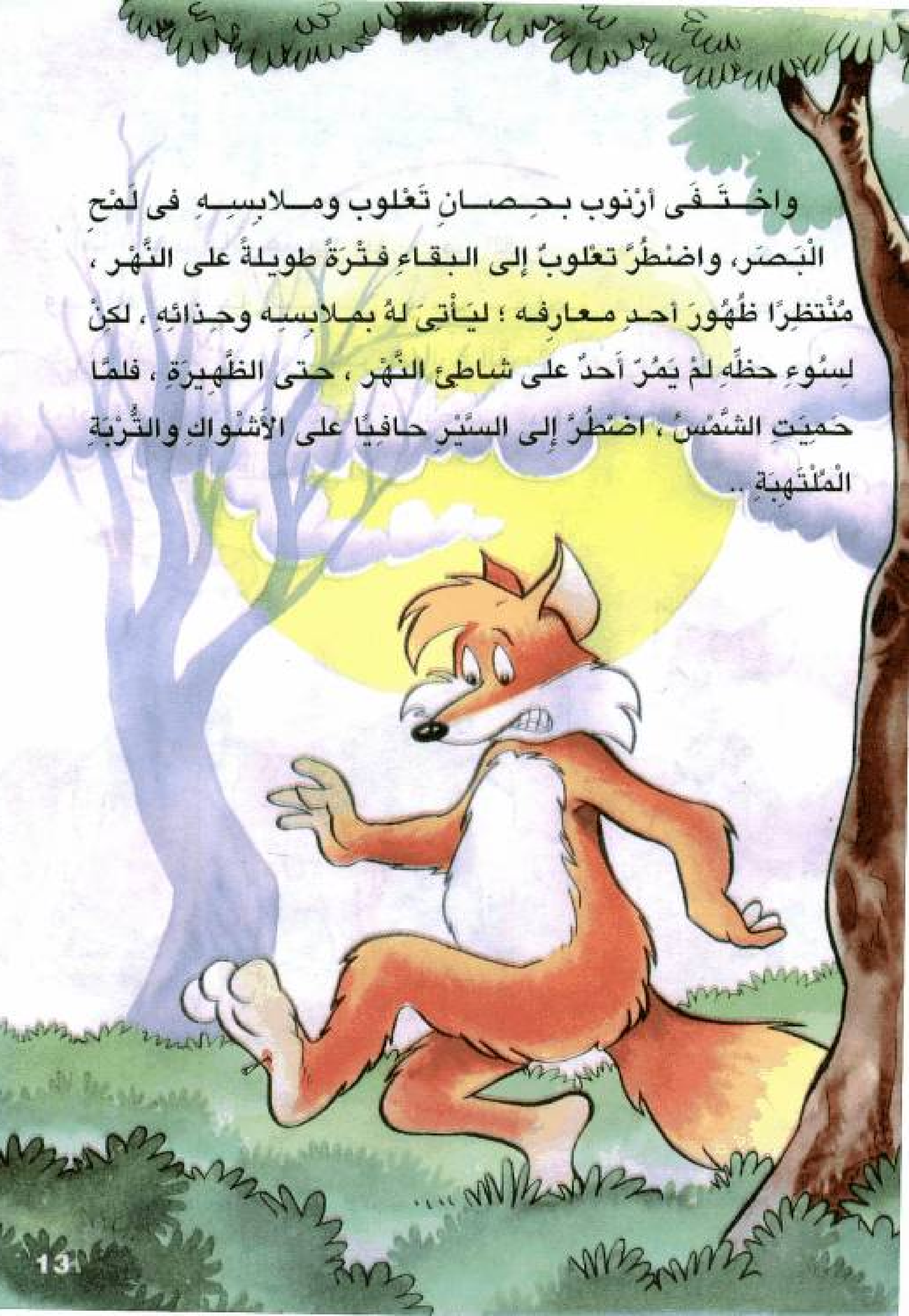
وتعَرَّضَ خلالَ ذلك لِلَسَعاتِ المِياهِ البَارِدَةِ ، لكنَّهُ تحمَّلَ فى صَبْرٍ وجَلَدٍ ..



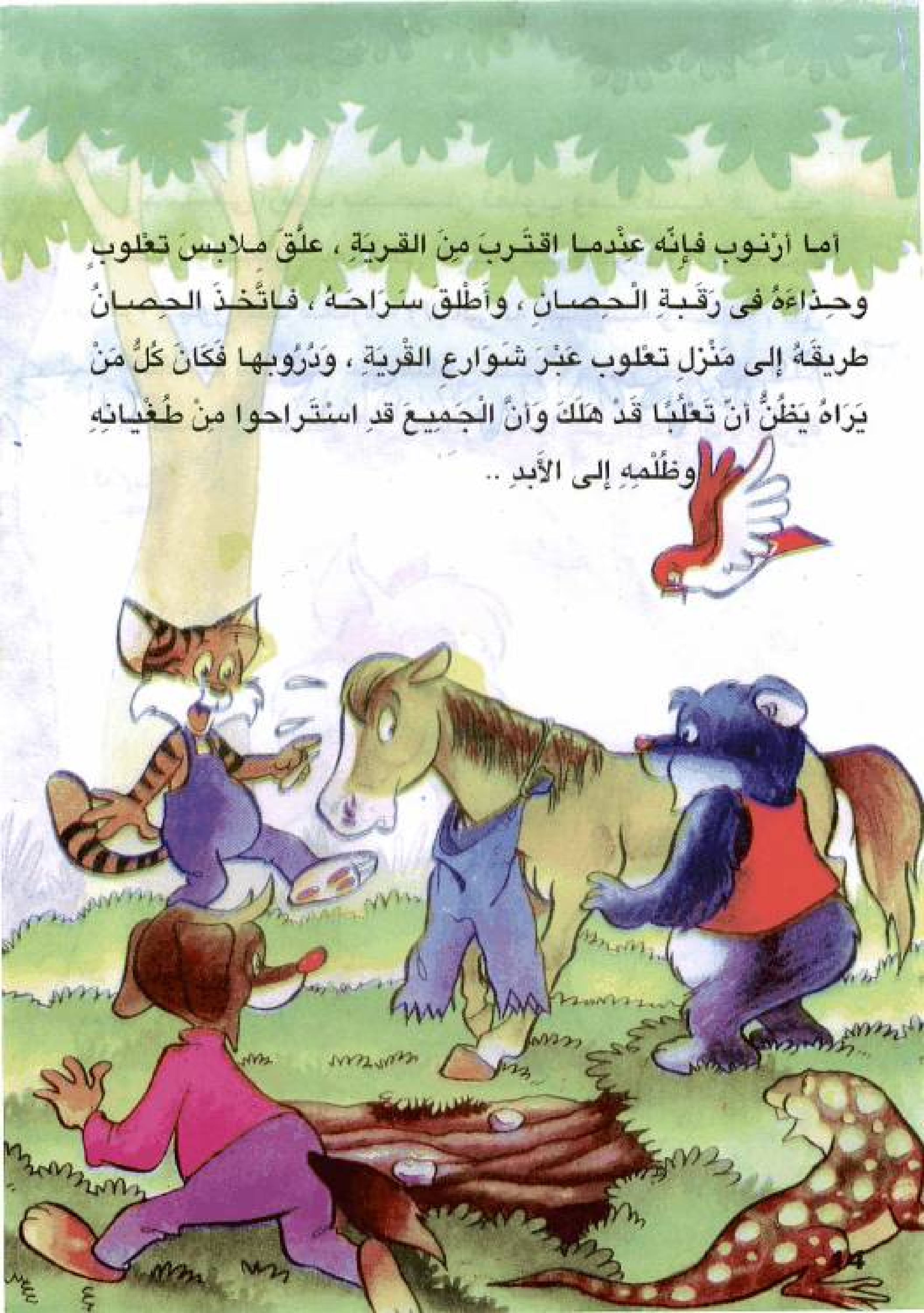
وما إنْ وصلَ تعْلوب إلى الضَفَّةِ الأُخْرى ، وأَصْبحَ على الشّاطئ ، حتَّى الْهَبَ أرْنوُب ظهْرَ الحِصان بسَوْطِه ، خائِضًا به الْمِياهَ ، فعبرَ النَّهْرَ فِي لَحَظَاتٍ إلى الضَفَّةِ الأُولَى ، التى ترك عِنْدهَا تعْلوبُ ملابِسَهُ ..

ثم جمعَ ملابسَ تعْلوبٍ وحِذاءَهُ على مَهلٍ وربَطَها فى صُرَّةٍ ، ثم ودَّع تعْلوبًا ساخرًا مِنْهُ بقوْلِه :

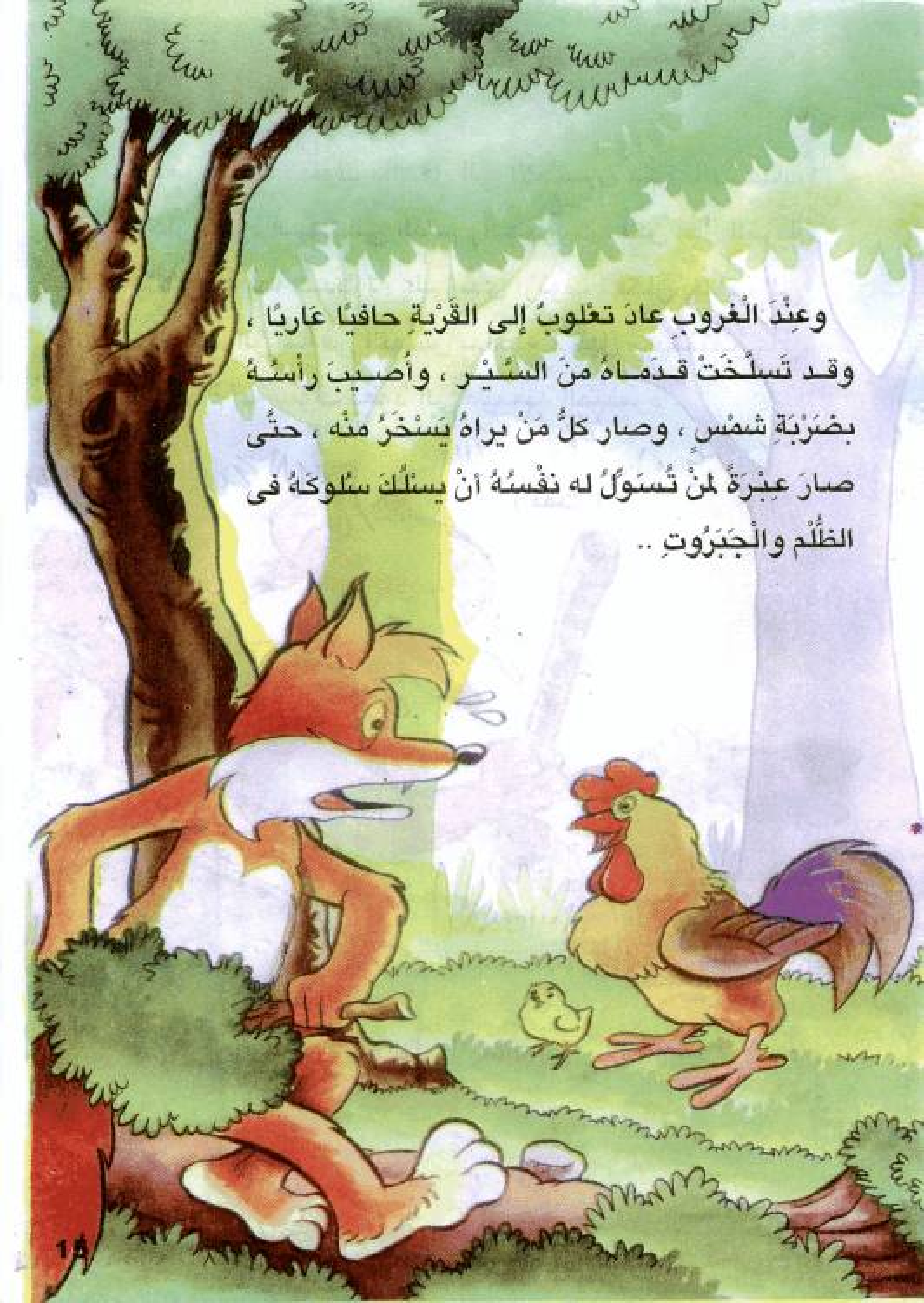
– إلى اللِّقاءِ يابَطَلُ ..



واخـتـفَى أرنوب بحِصانِ تَعْلوب وملابِسِهِ في لَمْحِ البَصَر، واضْطرَّ تعْلوبُ إلى البقاءِ فترةً طويلةً على النَّهر، مُنْتظِرًا ظُهُورَ أحدِ معارِفه؛ ليَأْتِيَ لهُ بملابِسِه وحِذائِهِ، لكنْ لِسُوءِ حظِّهِ لمْ يَمُرّ أحدٌ على شاطئِ النَّهر، حتى الظَّهيرةِ، فلمَّا حَمِيَتِ الشَّمسُ، اضْطرَّ إلى السَّيْرِ حافِيًا على الأشْواكِ والتُّرْبَةِ المُلْتَهِبَةِ..



أما أرْنوبَ فإِنَّه عِنْدما اقتَربَ مِنَ القريَةِ ، علَّقَ ملابسَ تعْلوبَ وحِذاءَهُ في رَقَبةِ الْحِصانِ ، وأَطْلقَ سَرَاحَهُ ، فاتَّخذَ الحِصانُ طريقَهُ إلى مَنْزلِ تعْلوب عبْرَ شوَارعِ القْريَةِ ، ودُرُوبِها فكَانَ كُلُّ مَنْ يَراهُ يَظُنُّ أنَّ تَعْلُبًا قَدْ هَلَكَ وَأنَّ الْجَمِيعَ قدِ اسْتَراحوا مِنْ طُغْيانِهِ وظُلْمِهِ إلى الأَبدِ ..



وعِنْدَ الْغروبِ عادَ تعْلوبُ إلى القَرْيةِ حافيًا عاريًا ، وقد تَسلَّخَتْ قدماهُ منَ السَّيْر ، وأُصيبَ رأسُهُ بضَرْبَةِ شمْسٍ ، وصار كلُّ مَنْ يراهُ يَسْخَرُ منْه ، حتَّى صارَ عِبْرَةً لمنْ تُسَوِّلُ له نفْسُهُ أنْ يسْلُكَ سُلوكَهُ فى الظُّلْم والْجبَرُوتِ ..

وقدْ تغيَّر سلُوكُ ثعْلوب بالفِعْلِ إلى الأَحْسَنِ ، لكنْ ظلَّتْ هناكَ لحظاتٌ كانَ يعودُ فيها إلى الظُّلْمِ والجَبَرُوت ، لكنَّ أهْلَ القريةِ كانوا يذَكرونَهُ بما حدَثَ له على يَدَىْ أرْنوب ، فكانَ يثُوبُ إلى رُشْدِهِ ، ويَكْبِتُ الرَّغْبَةَ فى البَطْشِ بداخِلِه .. فهلْ سيسْتَمِرُ على ذلك طوِيلاً ، أمْ أنَّهُ سَوْفَ يعُودُ إلى طَبيعَتِه الْمُتَنَمِّرَةِ ..

(تمت)

